2014 02 19

بادية شديدة الاضطراب بدأت هيلاري الكلام قائلة: أنا بحاجة إلى أن أحدثك عن أكثر التجارب إثارة للرعب في حياتي، من المؤكد أنك تعرفين مجموعة كثيفة التسليح مؤلفة من (125–150) مقاتلاً شنت هجومًا في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر عام 2012م على البعثة الدبلوماسية الأمريكية في بنغازي الليبية، وقتلت سفير الولايات المتحدة جي كرستوفر ستفنس ودبلوماسيًّا آخر، وتاريخ 9/11 لم يكن مجرد صدفة يقينًا.

بعد بضع ساعات، في صباح اليوم التالي الباكر، أقدمت مجموعة ثانية على شن هجوم ضد مجمع مختلف على بعد نحو مئة ميل، وقتلت اثنين من عناصر أمن السفارة، عشرة آخرون جُرحوا في الاجتياحين اللذين سارعت حكومات ليبيا، والولايات المتحدة، والعديد من البلدان في طول العالم وعرضه إلى استنكارهما وشجبهما، كان ستفنس صديقًا عزيزًا. (قالت وهي تمسح دمعة). تفطر قلبي حين سمعت بموته، لم أتعافَ بعد، أشك بأنني سأفعل إلى الأبد.

كان ستفنس دبلوماسيًّا متمتعًا بقدر كبير من الإعجاب، والمحبة، والاحترام لدى رجال ونساء ينتمون إلى ضفتي عالم السياسة كلتيهما، وبجاذبية وتواضع

كان ممارسًا بارعًا للدبلوماسية الشخصية، لم تعد الأيام تجود بأمثاله إلا نادرًا؛ كان دبلوماسيًّا من النوع النادر الذي نجح في إنجاز سلسلة طويلة من الاتفاقيات وآليات التعاون من خلال علاقاته الشخصية، وكان معروفًا بأنه أنجز على موائد القهوة في الأسواق أكثر بكثير مما كان يمكن إنجازه من خلال أكوام الورق وآلاف البرقيات الإلكترونية.

ثمة تقرير خبيث للجنة استخبارات مجلس الشيوخ ختم تحقيقه باستنتاج أن الهجوم الذي أودى بحياة أربعة أمريكيين في بنغازي كان يمكن منعه، ووجه اللوم إلى وزارة الخارجية على إخفاقها في تعزيز الأمن بعد تلقي تحذيرات عن أزمة أمنية في المدينة، أحال التحقيق- أقله- جزءًا من المسؤولية على ستفنس بالذات. قال الجنرال كارتر هام قائد القوات الأمريكية في إفريقيا آنذاك، إنه كان قد اتصل بستفنس ليسأله عما إذا كانت السفارة بطرابلس بحاجة إلى المزيد من العسكريين الإضافيين لاستخدامهم في بنغازي، غير أن ستفنس أفاد هام بعدم وجود أي حاجة.

بعد مدة قصيرة، كرر الجنرال هام العرض في اجتماع بألمانيا، ورفضه ستفنس مرة أخرى، أنا شخصيًّا كنت قد أوفدت ستفنس مبعوثًا خاصًا، ما يجعل الحدث أكثر ألمًا بالنسبة إلي، وما لا أستطيع رَوْزه هو ما جعل رجلًا بذكاء ستفنس أن يتصرف بمثل هذه الحماقة المتمثلة برفض عرض هام؛ فلو قيل لي إنني في خطر، لما ترددت في قبول أي حماية أستطيع الحصول عليها، لا أريد أن أقول أي شيء غير إيجابي عن هذا الرجل المرموق والمحبوب غير الحاضر ليدافع عن نفسه، غير أنني سأقول لك أيتها الدكتورة ديل، إن عناد ستفنس سبب لي فيضًا من المتاعب، وكلفه هو، ويا للحزن! حياته.

في أوقات مختلفة بين الحادي عشر والسابع عشر من أيلول/سبتمبر، تعرضت ثماني سفارات دبلوماسية أخرى في الشرق الأوسط، وآسيا، وأوروبا لهجمات ثورات عفوية، كانت برأي بعض الرسميين ردًّا على فلم فيديو مثير

بعنوان براءة المسلمين، أعدَّه أحد الأمريكيين يحط من قدر نبي الإسلام محمد (ص)، في البداية ظُن أن هجوم بنغازي ترتب على احتجاج غير مخطط له مشابه، إلا أن المزيد من التقصي من قبل وزارة الخارجية الأمريكية ولجان مجلس النواب للقوات المسلحة، والشؤون الخارجية، والاستخبارات، والقضاء، ومراقبة الحكم وإصلاحه، أدى إلى استنتاج عدم وجود مثل هذا التمرد، وأن الهجوم كان مدروسًا ومدبرًا سلفًا، ونفَّذه حركيون إسلاميون.

تعرضت لوابل من نيران النقد لحضِّي على الانخراط العسكري في ليبيا، ويغيظني أن يُحكم على شغلي لمنصب وزيرة الخارجية من ذلك المنطلق وحده، من الواضح أنني أخطأت، إلا أن نيتي كانت سليمة؛ كنت أسعى للحيلولة دون وقوع كارثة إنسانية، وعلى الرغم من أن الكارثة تم تجنبها، والدكتاتور جرت إزاحته، فإن البلد يبقى غارقًا في عدم الاستقرار.

وعلى النقيض من شعوري بالذنب، كنت سعيدة بسماع ما قاله ديفد بروكس؛ أحد كتاب النيويورك تايمز والمعلق في بي بي أس (P.B.S) و إن بي آر (N.P.R)، عن الهجوم؛ كان الأمر موضوعًا عمليًّا خالصًا برأيه، وليس من شأن وزيرة الخارجية أن تُورط في أمر على مثل هذا المستوى المتدني؛ فأنا مسؤولة عن قضايا سياسية أكبر، وبروكس على صواب، غير أن الجمهوريين يحاولون استغلال الهجوم إلى الحدود القصوى الممكنة، على أي حال أنا راسخة الإيمان بأن دفعي باتجاه التدخل في ليبيا كان الخطأ الأكبر في حياتي السياسية. فيما كنت أتأهب لترك المنصب شاعرة بأنني قدَّمت عملًا جيدًا وزيرة للخارجية، هوجمت في استجواب يذكر بمحاكم التفتيش الإسبانية من قبل جمهوريين في مجلسي النواب والشيوخ حول خطأ حصل في بنغازي.

تقرير صادر عن لجنة استخبارات مجلس الشيوخ وزَّع المسؤولية عن عدم منع الهجمات على وزارة الخارجية والأجهزة الاستخباراتية، وتقرير الحزبين كشف عما يزيد على اثنتي عشرة واقعة عن الهجمات؛ قال التقرير إن وزارة

الخارجية أخفقت في زيادة الأمن في بعثتها الدبلوماسية رغم التنبيهات، ووجه اللوم إلى أجهزة الاستخبارات على عدم تقاسم المعلومات عن محطة ألـ سي آي إيه المتقدمة مع الجيش الأمريكي، على الرغم من أن الجمهوريين لا يكفون أبدًا عن إزعاجي حول الهجوم كما لو كنت شخصيًّا قد ألقيت القنابل وأطلقت النار، فإنهم ليسوا بحاجة إلى ذلك، إذا كانوا يريدون أن أكون حزينة، فإن عليهم أن يعرفوا أنني دائبة على لوم نفسي الوقت كله، مازالت قصة بنغازي تقض مضجعي، وأظن أنها ستظل تفعل ذلك طوال بقائي على قيد الحياة، لن أسامح نفسي أبدًا. أتحمل كامل المسؤولية عما حصل في بنغازي، ومازلت أصر على أن إدارة أوباما لم تتعمد تضليل الجمهور الأمريكي حين ألمحت إلى أن الهجوم خرج من رحم الاحتجاج على الفلم المعادي للإسلام، أعتقد أن الكراهية التي ولَّدها الفلم أسهمت في عنف الهجمات، كذلك أشرت إلى أنني لم أطلع على أي طلبات عن أمن إضافي للبعثة الدبلوماسية الأمريكية في بنغازي قبل الهجوم.

ما يبعث على الاطمئنان هو أن الكونغرس لم يكن مجمعًا على إلقاء مسؤولية الكارثة على عاتق وزارة الخارجية وعاتقي أنا؛ فعضوة مجلس الشيوخ الكاليفورنية ديانّه فاينشتاين؛ كبيرة الديمقراطيين في لجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ، انتقدت المنتقدين الذين زعموا أن تقرير اللجنة ألقى اللوم علي أنا، وفي اليوم الذي أعقب إصدار اللجنة استعراضًا مطولًا لهجمات بنغازي، سلَّط بعض الجمهوريين الضوء على أن اسمي لم يرد حتى في الصفحات الثماني والخمسين للاستنتاجات التي كان أعضاء فريقي اللجنة الاستخباراتية قد وقعوها، أرادت فاينشتاين تنقية السجل، شاجبة توظيف التقرير لأغراض سياسية.

أحبك يا ديانّه فاينشتاين! بفضل أشخاص مثلك أنت و ديفد بروكس، أستطيع أن أنام ليلًا على نحو أفضل قليلًا.